

من أسرار التنكير والتعريف في القرآن الكريم

جزء الأحقاف أنموذجا

عنتر مخناش طالب دكتوراه جامعة باتنة 1

الملخص:

يحاول هذا المقال تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب الكلمة القرآنية؛ ألا وهو جانب التنكير والتعريف، محاولا بذلك الكشف عن بعض أسرار التعبير بالنكرة والمعرفة ودورهما في تجلية المعنى، وهذا من خلال سور جزء الأحقاف (الأحقاف - محمد - الفتح - الحجرات - ق - الذاريات)، وقد صدر عنوان المقال ب" من" التبعية لأنّ المقام لا يتسع لتتبع جميع التكرات والمعارف الواردة في الجزء.

Resume:

Cette article essaie de mettre en lumière sur un aspect très important parmi les aspects de la parole coranique..qui est l'aspect d'annonciation et de définition. tentant ainsi de divulguer des secrets d'expression avec la Nudité et la connaissance et leur rôle à la révélation du sens à travers les sourates :(al ahkaf..mouhamed...el fath...el hudjurat... kaf... dhariyatt.)

مقدمة:

القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، هدى الله به القلوب، وأنزله في أوجز لفظ، وأعذب أسلوب فأعيت بلاغته البلغاء، وأسكتت فصاحته الفصحاء، وأبهرت حكمته الحكماء، وأذهلت روعته الخطباء، فهو الحجة البالغة، والدلالة الدامغة،

والنعممة الباقية، والعصمة الواقية، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل فيما أحكم وتشابهه من الأمور.

والقرآن الكريم ورد مورود تتناصر إليه العزائم على كَرّ الحقب، وتترافد إليه الهمم على مرّ السنين بغية اكتناه أسرار بيانه، واستجلاء أسباب إعجازه، فهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الردّ. وهو كتاب العربية الأولى، صلته بها وثيقة؛ إذ هو معيار فصاحتها، ومصدر قوتها وبقائها، وفيه انصهرت لهجاتها، وتوحدت في لسان مبين. ومنه استمدت معظم علوم العربية أصولها، ومن أجله وضعت قوانينها.

والقرآن الكريم ينهج منهاجا فريدا في انتقاء الكلمة القرآنية مراعيًا في ذلك جميع أبعادها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. وتوظيف الكلمة منكرة أو معرفة إنما يخضع لمحددات السياق، وفنيات التوظيف الجمالي، وللوقوف على ذلك يحاول هذا المقال الكشف عن بعض أسرار البيان القرآني من خلال تسليط الضوء على ظاهرة التكرير والتعريف.

وقد بدأ المقال بالتكرير لأنه أصل والمعرفة فرع عنه، كما اقتصر على تناول جزء واحد من القرآن الكريم ألا وهو جزء الاحقاف بسوره الستة (الأحقاف - محمد - الفتح - الحجرات - ق - الذاريات) لأنّ المقام لا يتسع لتناول جميع الأجزاء.

أولاً: التكررات:

التكررة: ما يقبل "أل" وتؤثر فيه التعريف، أو يقع موقع ما يقبل "أل"¹. وهي "كلّ أمر شائع لا يُخصّ به واحد بعينه، أو كلّ اسم عمّ اثنين فصاعداً من جنسه دون تعيين لواحد بعلامة من علامات التعريف"².

¹ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبدالله بن عقيل، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2006، مج1 ص85

² - اللغة العربية الميسرة: محمود عكاشة، دار النشر للجامعات - القاهرة - دط، 2007، ص134.

وتعتبر النكرة أصلاً في كلِّ الأسماء على حدِّ قول سيبويه: "واعلم أنَّ النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشدُّ تمكناً، لأنَّ النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تعرف به، فمن ثمَّ أكثر الكلام ينصرف في النكرة"¹.

والتعبير بالنكرة شائع في سور جزء الأحقاف لأنه يتناسب والمسائل العامة التي عرض لها القرآن في هذا الجزء، كذكر دلائل قدرة الله، ونعمه على خلقه، ووصف يوم القيامة. إلا أنَّ النكرة خرجت في بعض المواضع من معنى الشيوخ إلى معانٍ أخرى اكتسبتها من السياق، نذكر منها:

1- التعظيم:

- قال تعالى: **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ قَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (الأحقاف - الآية 10)

وتتوين (شاهد) للتعظيم، وكذا وصفه بالجار والمجرور، أي شهد شاهد عظيم الشأن من بني إسرائيل². والشاهد في الآية هو عبدالله بن سلام، وقد روي في قصة إسلامه أنه "أتى رسول الله ﷺ - مَقْدَمَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي: ما أول أشرطة الساعة؟ وما أول ما يأكل أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟

فقال: "أخبرني بهنَّ جبريل أنفاً". قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: "أما أول أشرطة الساعة: فنار تخرج من المشرق، فتحشُر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وأما الشبه: فإذا سبق ماء الرجل نزع إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع إليها". قال: أشهد أنك رسول الله.

وقال: يا رسول الله، إنَّ اليهود قوم بهت؛ وإنهم إن يعلموا بإسلامي بهتوني، فأرسل إليهم، فسلهم عني.

¹ - الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجبل،

بيروت، ط1، ج1، ص6، ص7.

² - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمد بن عبد الله شهاب الدين الألوسي،

دار الفكر، بيروت مج14، ص19

فأرسل إليهم، فقال: "أي رجل ابن سلام فيكم ؟ قالوا: حبرنا، وابن حبرنا، وعالمنا، وابن عالمنا. قال: "أرايتم إن أسلم، تسلمون؟". قالوا: أعاده الله من ذلك. قال: فخرج عبدالله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا. فقال: يا رسول الله، ألم أخبرك أنّهم قوم بُهت¹.

- قال تعالى: " وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ" (ق - الآية 4) فتتكبير "كتاب" للتعظيم، وهو "تعظيم النعم، أي عندنا كتاب كل شيء"².

- قال تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (ق - آية 37)

تتكبير (قلب) للتعظيم والكمال، والمعنى "لمن كان له قلب ذكيّ واع يستخرج بذكائه، أو لمن ألقى السمع إلى المنذر فيتذكر"³.

- قال تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الذاريات - آية 15)

تتكبير (جَنّاتٍ) للتعظيم، إذ هي جنّات كثيرة مختلفة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما أخبر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى. قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (محمد - آية 12)

- قال تعالى: لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... (الفتح - آية 5)

تتكبير (جَنّاتٍ) للتعظيم كما تقدّم.

2- التقليل:

¹ - سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، اعتنى به: محمد بن عياد بن عبدالحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003م، مج3، ص205.

² - التحرير والتوير: محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (دط)، 1997، مج10، ج26، ص5.

³ - المرجع نفسه، ص324.

قال تعالى: **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ** (الاحقاف - آية 35)

تكثير الساعة للتقليل وفي هذا يقول ابن عاشور: "وصف الساعة وتخصيصها بهذا الوصف لأنّ ساعة النهار تبدو للناس قصيرة لما للناس في النهار من الشواغل بخلاف ساعة الليل تطول إذ لا يجد الساهر شيئاً يشغله، فالتكثير للتقليل كما في حديث الجمعة قوله -ﷺ-: "وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء، وأشار بيده يقللها". والساعة جزء من الزمن"¹.

3- التَّبْعِيض:

- قال تعالى: **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** (محمد - آية 24)

وفي تفسير الآية يقول الرّمخشري: "فإن قلت: لم نُكِّرَتِ القلوب وأضيفت الأفعال لها؟ قلت: أمّا التّكثير ففيه وجهان: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك، أو يراد على بعض القلوب، وهي قلوب المنافقين. وأمّا إضافة الأفعال؛ فلأنّه يراد الأفعال المختصّة بها، وهي أفعال الكفر التي استغلقت فلا تتفتّح. وقرئ إقفالها، على المصدر"².

ويقول ابن عاشور: "وتكثير (قُلُوبٍ) للتّنويع أو التّبْعِيض، أي على أنواع من القلوب إقفالها. والمعنى: بل بعض القلوب عليها أقفال... وإضافة (أقفال) إلى ضمير (قلوب) نظم بديع أشار إلى اختصاص الأفعال بتلك القلوب، أي ملازمتها لها فدلّ على أنّها قاسية"³.

4- الاستغراق والتعميم:

- قال تعالى: **اِنَّنُوْنِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا اَوْ اَتَاةٍ مِّن عِلْمٍ اِن كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ** (الأحقاف - آية 4)

¹ - المرجع نفسه، ص 68.

² - الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّنزيل: محمود بن عمر الرّمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1987، مج4، ص326.

³ - التحرير والتّنوير، ص 114.

"والمراد بـ(بِكِتَابٍ) أي كتاب من الكتب المقروءة، وهذا قاطع لهم فإنهم لا يستطيعون ادعاء أن لأصنامهم في الكتب السابقة ذكرا غير الإبطال والتحذير من عبادتهم، فلا يوجد في الكتب إلا أحد أمرين: إما إبطال عبادة الأصنام كما في الكتب السماوية، وإما عدم ذكرها البتة، ويدلّ على أن المراد ذلك قوله بعده (أَوْ أَنْارَةَ مِّنْ عِلْمٍ)¹.

- قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " (الحجرات - آية 6)
يرى الزمخشري أن تنكير الفاسق والنّبأ: "شيع في الفساق والأنبياء، كأنه قال: أي فاسق جاءكم بأيّ نبأ..."².

وهو ما ذهب إليه أيضا ابن عاشور في قوله: "وتنكير (فاسق) و(نبأ) في سياق الشرط يفيد العموم في الفساق بأيّ فسق اتّصفوا، وفي الأنبياء كيف كانت، كأنه قيل: أي فاسق جاءكم بأيّ نبأ فتوقفوا فيه وتطلّبوا بيان الأمر وانكشافه"³.
ثانيا: المعارف.

المعرفة ما وضع لشيء معيّن⁴، والمعارف هي: الضمير والعلم، واسم الإشارة والمعرف بأل، والاسم الموصول، والمضاف إلى معرفة، والمعرف بالنداء⁵.

1- الضمير:

يعين الضمير في اللغة على الإيجاز والربط المحكم بين أجزاء الجملة، وله قيمة مورفيمية في تغيير المعاني النحوية، يضاف إلى هذا خصائص أخرى تكسبه قيمة تعبيرية فنية بليغة، ومن هذه الخصائص ما يلي:

1 - المرجع نفسه: ج26، ص10، ص11.

2 - الكشاف، ص360.

3 - التحرير والتتوير، ص231.

4 - شرح الكافية في النحو: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترلابادي، تحقيق: محمد نور الحق، دار

الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1975م. مج2، ص163.

5 - ينظر الكتاب: ج1، ص219، ص220، ص269، ص311.

1-1 - حذف المعاد:

لابد للضمير المتصل في اللغة العربية من معاد يعود إليه "وذلك لأنك لا تضمير الاسم إلا بعد تقدم ذكره، ومعرفة المخاطب على من يعود ومن يعني، أو تفسير يقوم مقام الذكر، ولذلك استغنى عن الوصف"¹.

والقرآن الكريم كثيرا ما يعتمد إلى حذف معاد الضمير لدلالة المقام عليه، ومن ذلك:

- قوله تعالى: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ" (الأحقاف - آية 10)
- قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ" (الأحقاف - آية 11)

- وقوله تعالى: "وَأِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ" (الأحقاف - آية 11)
الضمير المستتر في (إن كان) و(كان) و(به) عائد إلى القرآن المعلوم والمفهوم من السياق.

- قوله تعالى: "بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ" (ق - الآية 2)

"ضمير (عَجِبُوا) عائد إلى غير مذكور، فمعاده معلوم من السياق أغنى افتتاح السورة بحرف التهجي الذي قصد منه تعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن، لأن عجزهم عن الإتيان بمثله في حال أنه مركب من حروف لغتهم يدلهم على أنه ليس بكلام بشر بل هو كلام أبدعته قدرة الله وأبلغه الله إلى رسوله - ﷺ - على لسان الملك، فإن المتحدّين بالإعجاز مشهورون يعلمهم المسلمون وهم أيضا يعلمون أنهم المعنويون بالتحدي بالإعجاز"². وكذلك ضمير (مَنْهُمْ) عائد إلى ما عاد إليه ضمير (عَجِبُوا)، "والمراد أنه من نوعهم أي من بني الإنسان"³.

¹ - شرح المفصل: موفق الدين أبو البقاء يعيـش بن علي يعيـش ت ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، (د ت) ، ج3 ، ص56.

² - التحرير والتتوير ، ص278.

³ - المرجع نفسه ، ص278.

- قوله تعالى: "قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" (ق - آية 28-29)

"هذا حكاية كلام يصدر يومئذ من جانب الله تعالى للفريقين الذين اتبعوا والذين اتَّبَعُوا، فالضمير عائد على غير مذكور في الكلام يدل عليه قوله: " فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ " (ق - آية 22)¹.

- قوله تعالى: " فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ " (ق - آية 39)

ضمير (يقولون) عائد إلى المشركين الذين هم المقصود من هذه المواضع والنذر.

- قوله تعالى: " إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ " (الذاريات - آية 5)

الخطاب في (توعدون) للمشركين كما هو مقتضى التأكيد بالقسم وكما يقتضيه تعقيبه بقوله: " إِنُّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (الذاريات - آية 8)

- الالتفات:

وهو "الانتقال من التكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر، وذلك تطريزا للكلام وتغننا في الأسلوب. قال البيضاوي رحمه الله: والكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا له، كما تقرر في علم المعاني.² ومن أمثله نذكر:

- قوله تعالى: " يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ " (ق - آية 30)

"...ولذلك استوت قراءة (يقول) بالياء، وهي لنافع، وأبي بكر عن عاصم جريا على مقتضى ظاهر ما سبقه من قوله: " قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ "

(ق - آية 30) وقراءة الباقيين بالنون على الالتفات، بل هو التفات تابع لتبديل

طريق الإخبار من الحديث عن غائب إلى خطاب حاضر³.

- قوله تعالى: " ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا

مَزِيدٌ " (ق - آية 34-35)

¹ - المرجع نفسه، ص314.

² - الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ص943.

³ - التحرير والتنوير، ص317.

في قوله: (لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا) إلتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، فبعد أن يقال للأتقياء الأبرار (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۗ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ) يعدل عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، فبد أن يقال لهم (لكم ما تشاءون) يقال (لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا) .

- قوله تعالى: " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ " (محمد - آية 22)

الخطاب موجه للذين في قلوبهم مرض على الالتفات.

- قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۗ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفُرْ لِيَكْذِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَذِبًا عَظِيمًا " (الفتح - آية 10)

" قرأ نافع و ابن كثير ... (فسنؤتيه) بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم . وقرأه الباقون بياء الغيبة عائدا ضميره على اسم الجلالة"¹.

- قوله تعالى: " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا " (الفتح - آية 17)

" قرأ نافع وابن عامر (ندخله) و(نعذبه) بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم . وقرأ الجمهور (يدخله) بالياء ... جريا على أسلوب الغيبة يعود الضمير إلى اسم الجلالة"².

- قوله تعالى: " لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (الفتح-آية 25)

في قوله تعالى: (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) إلتفات إذ عدل عن ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم

- الإظهار في موضع الإضمار:

¹ - المرجع نفسه، ص 160 .

² - المرجع نفسه، ص 173 .

ويحدث ذلك حين يراد الاهتمام بالأمر اهتماماً خاصاً، فيعاد الاسم مرة ثانية دون ضميره لإعادة تصوّره، والتأكيد عليه، وإقراره في النفس، سواء أطل الكلام أم قصر.

ومن أمثلة ما ورد من ذلك نذكر:

- قوله تعالى:

" وَإِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ " (الأحقاف - آية 7) "وقوله (الَّذِينَ كَفَرُوا) إظهار في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بالكفر وبأنه سبب قولهم ذلك. والحق هو الآيات، فعدل عن ضمير الآيات على إظهار لفظ الحقّ للتببيه على أنها حقّ وأنّ رميها بالسحر بهتان عظيم".¹

والأمر ذاته في قوله تعالى: " وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ " (الأحقاف - آية 34)

إذ ذكر (الَّذِينَ كَفَرُوا) إظهار في مقام الإضمار.

- قوله تعالى: " بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ " (ق - آية 2)

"... وعبر عنهم بالاسم الظاهر في (فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ) دون فقالوا، لتوسيمهم بأن هذه المقالة من آثار الكفر وليكون فيه تفسير للضميرين السابقين"².

- قوله تعالى: " فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ " (الذاريات - آية 23)

في إظهار اسمي السماء والأرض دون ذكر ضميرهما إدخال للمهابة في نفوس السامعين بعظمة الرب سبحانه.³

¹ - التحرير والتنوير، ص13.

² - المرجع نفسه، ص279.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص355.

- قوله تعالى: "وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ" (محمد- آية 4، 5، 6)

"وذكر (الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) إظهار في مقام الإضمار إذ كان مقتضى الظاهر أن يقال: فلن يضلَّ الله أعمالكم، وهكذا بأسلوب الخطاب، فعدل عن مقتضى الظاهر من الإضمار إلى الإظهار ليكون في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي إفادة تقوي الخبر، وليكون ذريعة إلى الإتيان بالموصول للتوحيه بالصلة..¹.

- قوله تعالى: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا" (الفتح- آية 1، 2)

"وإنما أسند فعل (لِيَغْفِرَ) إلى اسم الجلالة العلم وكان مقتضى الظاهر أن يسند إلى الضمير المستتر قصدا للتوحيه بهذه المغفرة لأنَّ الاسم الظاهر أنفذ في السمع وأجلب للتنبيه. وذلك للاهتمام بالمسند و بمتعلقه لأنَّ هذا الخبر أنفا لم يكن للرسول - صلى الله عليه و سلم - علم به و لذلك لم يبرز الفاعل في (وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ) لأنَّ إتمام الله عليه معلوم و هدايته معلومة و إنما أخبر بازديادهما "².

- قوله تعالى: " وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا" (الفتح- آية 3)

"أظهر اسم الجلالة في قوله (وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ) ولم يكتف بالضمير اهتماما بهذا النصر وتشريعا له بإسناده إلى الاسم الظاهر لصراحة الظاهر، والصراحة أدعى إلى السمع، والكلام مع الإظهار أعلق بالذهن "³.

- قوله تعالى: " وَلِكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ؕ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ " (الحجرات-آية 7) و ذكر اسم الله في صدر جملة الاستدراك دون ضمير المتكلم لما يُشعر به اسم الجلالة من المهابة والروعة

1-2- العلم:

¹ - المرجع نفسه: ص 83 .

² - التحرير والتوير، ص 148 .

³ - المرجع نفسه ، ص 149 .

ورد العلم في قوله تعالى: "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۗ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ" (ق - آية 12، 12، 14)

المراد بفرعون في الآية قومه، لأنَّ المعطوف عليه قوم نوح، المعطوفات جماعات (كل)، فيجوز أن يراد به كل واحد منهم، وأن يراد جميعهم¹ وفي قوله تعالى: "مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ" (ق - آية 33) "وإيثار اسمه (الرَّحْمَنُ) في قوله (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) دون اسم الجلالة للإشارة إلى أن هذا المتقي يخشى الله وهو يعلم أنه رحمان، ولقصد التعريض بالمشركين الذين أنكروا اسمه الرحمان (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ)²."

- قوله تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ" (محمد - آية 2) في قوله (وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) " اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين ما يدب به الإيمان تعظيماً لشأنه وتعليماً، لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به"³

1-3 - اسم الإشارة:

- قوله تعالى: " ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا " (الأحقاف - آية 4) "الإشارة في قوله (مِن قَبْلِ هَذَا) إلى القرآن لأنه حاضر في أذهان أصحاب المحاجة فإنه يقرأ عليهم معاودة"⁴.

- قوله تعالى "وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ" (الأحقاف - آية 7)

¹ ينظر: الكشاف، ج 4، ص 382.

² - التحرير والتنوير، ص 320.

³ - الكشاف: ج 4، ص 314.

⁴ - التحرير والتنوير، ص 10.

- قوله تعالى: " وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا

عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ " (الأحقاف - آية 12)

الإشارة إلى القرآن لأنه حاضر بالذكر فهو كالحاضر بالذات.

- قوله تعالى: أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(الأحقاف - آية 13، 14)

"واستحضارهم بطريق اسم الإشارة في قوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) للتبنيه على أنهم أحرىء بما يرد من الأخبار عنهم بما بعد الإشارة لأجل الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة"¹.

- قوله تعالى: " أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا " (الأحقاف - آية 16)

جاء باسم الإشارة في هذه الآية أيضا للتبنيه على أنهم أحرىء بما يخبر عنهم.

- قوله تعالى: " أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ " (الأحقاف - آية 18)

"يجوز أن يكون اسم الإشارة مشيرا إلى الذي قال لوالديه هذه المقالة لما علمت أن المراد به فريق، فجاءت الإشارة إليه باسم إشارة الجماعة بتأويل الفريق"².

- قوله تعالى: " فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۗ "

(الأحقاف - آية 24)

"وقولهم (هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا) يشير إلى أنهم كانوا في حاجة إلى المطر"³.

- قوله تعالى: " وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ

دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۗ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " (الأحقاف - آية 32)

"واسم الإشارة في (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) للتبنيه على أن من هذه حالهم جديرون بما يرد بعد اسم الإشارة من الحكم لتسبب ما قبل الإشارة فيه كما في قوله (أُولَئِكَ

عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ)"¹.

¹ - المرجع نفسه، مج 10، ج 26، ص 27.

² - المرجع نفسه، ص 39.

³ - المرجع نفسه، ص 49.

- قوله تعالى: " ق ۞ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ" (ق - آية 2، 3)

"والإشارة بقولهم (هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) على ما هو جار في مقام مقالتهم تلك من دعاء النبي ﷺ إياهم للإيمان بالرجع، أي البعث"².

- قوله تعالى: " كَذَلِكَ الْخُرُوجُ " (ق - آية 11)

اسم الإشارة (ذلك) أفاد تعظيم شأن المشار إليه.

- قوله تعالى: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" (ق - آية 37)

"وقوله (فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) يجوز أن تكون الإشارة بذلك على إهلاك القرون الأشدّ بطشا ويجوز أن يكون جميع ما تقدّم من استدلال وتهديد وتحذير من يوم الجزاء"³.

- قوله تعالى: " يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۗ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ " (ق - آية 42)

اسم الإشارة في هذه الآية لتحويل أمر المشار إليه وهو (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) فأراد بذلك كمال عناية بتمييزه لاختصاصه بهذا الخبر العظيم. وكان مقتضى الظاهر أن يقال هو يوم الخروج⁴.

- قوله تعالى: " دُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ " (الذاريات - آية 14)

الإشارة في قوله (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) إلى الشيء الحاضر نصب أعينهم.

- قوله تعالى: " آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ " (الذاريات -

آية 16)

¹ - التحرير والتتوير ،ص62.

² - المرجع نفسه ،ص208.

³ - المرجع نفسه ،ص323.

⁴ - ينظر : المرجع نفسه، ص331.

"وفائدة الظرف في قوله (قَبْلَ ذَلِكَ) أن يؤتى بالإشارة إلى ما ذكر من الجنات والعيون وما آتاهم ربهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فيحصل بسبب تلك الإشارة تعظيم شأن المشار إليه"¹.

- قوله تعالى: " ذَلِكَ بَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ " (محمد-آية 3)

اسم الإشارة لتمييز المشار إليه.

- قوله تعالى: " ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ " (محمد - آية 4)

" ويفيد اسم الإشارة تقرير الحكم ورسوخه في النفوس"².

- قوله تعالى: " وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا " أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ " (محمد- آية 16)

يرى ابن عاشور أن الاتيان باسم الإشارة بعد ذكر صفاتهم تشهيرا بهم.

- قوله تعالى: " وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا " (الفتح - آية 5)

" الإشارة في قوله (وَكَانَ ذَلِكَ) إلى المذكور من إدخال الله إياهم الجنة و المراد بإدخالهم الجنة إدخال خاص وهو إدخالهم منازل المجاهدين وليس هو الإدخال الذي استحقوه بالإيمان وصالح الأعمال الأخرى"³.

- قوله تعالى: " ؕ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ " (الفتح - آية 29)

اسم الإشارة (ذَلِكَ) أشير به إلى المذكور من صفات الذين مع النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن السابق في الذكر بمنزلة الحاضر فيشار إليه بهذا الاعتبار.

- قوله تعالى: " وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ " أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ " (الحجرات - آية 7)

¹ - المرجع نفسه ،ص348.

² - المرجع نفسه ،ص 82 .

³ - التحرير والتنوير، ص 152 .

والإشارة بـ(أُولَئِكَ) إلى ضمير المخاطبين في قوله (إِنَّكُمْ) مرّتين وفي قوله (قُلُوبِكُمْ) أي الذين أحبوا الإيمان وتزينت قلوبهم، وكرهوا الكفر والفسوق والعصيان هم الراشدون، أي المستقيمون على الطريق الحق¹.

1-4- الاسم الموصول:

يستخدم القرآن الكريم الاسم الموصول في كثير من المواضع حين تكون صلته هي مناط الحكم وموضع الاهتمام، ومن هذه المواضع نذكر:

- قوله تعالى: "وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ مَا (الأحقاف- آية 17)

(وَالَّذِي) هنا اسم صادق على الفريق المتّصف بصلته، وهذا وصف لفئة من أبناء المشركين أسلم أبناؤهم ودعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم وأغلظوا لهم القول فضمّوا إلى الكفر بشنيع عقوق الوالدين...².

- قوله تعالى: "فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً" (الأحقاف- آية 28)

"والإتيان بالموصول لما في الصلة من التنبيه على الخطأ والغلط في عبادتهم الأصنام فلم تغن عنهم شيئاً"³.

- قوله تعالى: "الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصَلَ أَعْمَالُهُمْ" (محمد- آية 1)
"وفي الابتداء بالموصول والصلة المتضمنة كفر الذين كفروا ومناواتهم لدين الله تشويق لما يرد بعده من الحكم المناسب للصلة، وإيماء بالموصول وصلته إلى علة الحكم عليه بالخبر، أي لأجل كفرهم وصددهم، وبراعة استهلال للغرض المقصود"⁴.

- قوله تعالى: "فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخَنَّوهُمْ فَشُدُّوا الرُّبُوعَ فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أوزَارَهَا" (محمد - آية 4)

¹ - المرجع نفسه، ص 237 .

² - المرجع نفسه، ص36، ص37.

³ - المرجع نفسه ، ص56.

⁴ - التحرير والتنوير، ص 73 .

فَقَوْلُهُ (الَّذِينَ كَفَرُوا) "عَامٌّ فِي كُلِّ كَافِرٍ، أَي مَشْرُوكٍ يَشْمَلُ الرِّجَالَ وَهُمُ الْمَعْرُوفُ حَرَبُهُمْ، وَيَشْمَلُ مِنْ حَارِبٍ مَعَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالرَّهْبَانِ وَالْأَحْبَارِ"¹.

- قَوْلُهُ تَعَالَى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ" (مُحَمَّدٌ - آيَةٌ 16) جِيءَ بِالْمَوْصُولِ وَصَلَتْهُ لِإِفَادَةِ أَنَّ "هُؤُلَاءِ الْمَتَمَيِّزِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمُ أَشْخَاصُ الْفَرِيقِ الْمُنْتَقَرِّ بَيْنَ النَّاسِ أَتَّهُمْ فَرِيقٌ مَطْبُوعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الَّذِينَ صَمَّمُوا عَلَى الْكُفْرِ قَدْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِأَهْوَائِهِمْ، فَأَفَادَتْ أَنَّ هؤُلَاءِ الْمُسْتَمْعِينَ زَمْرَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْفَرِيقِ"².

- قَوْلُهُ تَعَالَى: " إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۖ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ" (مُحَمَّدٌ - آيَةٌ 25)

يُرَى ابْنَ عَاشُورَ أَنَّ "الْإِتْيَانَ بِالْمَوْصُولِ وَالصَّلَةَ لَيْسَ إِظْهَارًا فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِأَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصَّلَةِ بَعْضَ الَّذِينَ كَانَ الْحَدِيثُ عَنْهُمْ فِي مَا تَقَدَّمَ"³.

- قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأَتْوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ" (مُحَمَّدٌ - آيَةٌ 34)

"وَاقْتَرَنَ خَبَرَ الْمَوْصُولِ بِالْفَاءِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّهُ أَشْرَفَ مَعْنَى الشَّرْطِ فَلَا يَرَادُ بِهِ ذُو صِلَةٍ مَعِيْنٌ بَلِ الْمُرَادُ كُلُّ مَنْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ مَا هِيَ الصَّلَةُ وَهِيَ الْكُفْرُ وَالْمَوْتُ عَلَى الْكُفْرِ"⁴.

- قَوْلُهُ تَعَالَى: "هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهُدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ" (الْفَتْحُ - آيَةٌ 25)

"وَالْمَقْصُودُ مِنَ الصَّلَةِ هُوَ جُمْلَةٌ (وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وَذَكَرَ (الَّذِينَ كَفَرُوا) إِدْمَاجَ لِلنَّدَاءِ عَلَيْهِمْ بِوَصْفِ الْكُفْرِ. وَلِهَذَا الْإِدْمَاجُ نَكْتَةٌ أَيْضًا، وَهِيَ أَنَّ وَصْفَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَنْزِلَةِ الْجِنْسِ صَارَ الْمَوْصُولُ فِي قُوَّةِ الْمَعْرِفِ بِبَلَامِ الْجِنْسِ فَتَقْيِيدُ جُمْلَةٍ (هُمُ

¹ - المرجع نفسه ، ص 80.

² - المرجع نفسه ، ص 101.

³ - المرجع نفسه ، ص 115.

⁴ - المرجع السابق ، ص 129.

الَّذِينَ كَفَرُوا) قصر جنس الكفر على هذا الضمير لقصد المبالغة لكمالهم في الكفر بصدّهم المعتمرين عن المسجد الحرام وصد الهدي أن يبلغ محله¹.

1-5- المعرّف بأل:

"(أل) التي تقيد التعريف في العربية نوعان: عهدية وجنسية، والعهد في النوع الأول عهد ذكريّ أو ذهنيّ أو حضوريّ، والجنس في الثاني إمّا جنس شامل لكلّ الأفراد على الحقيقة بحيث يمكن أن يحلّ محله لفظ (كل)، وإمّا جنس شامل على سبيل المبالغة والادّعاء في صفة ظاهرة فيه، وإمّا جنس قصد به بيان الحقيقة أو الماهية².

ومن أمثلة استخدام القرآن للمعرّف بأل نذكر:

- قوله تعالى: " تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ " (الأحقاف- آية 2)

الكتاب هو المعهود وما تنزّل من القرآن إلى تلك الساعة.

- قوله تعالى: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنًا قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ " (الأحقاف- آية 15)

"المراد بالإنسان الجنس، أي وصينا الناس وهو مراد به خصوص الناس الذين جاءتهم الرسل بوصايا الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذلك هو المناسب للقول في آخرها (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا)³.

- قوله تعالى: " أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ " (الأحقاف- آية 18)

تعريف (القول) تعريف العهد؛ إذ هو قول معهود عند المسلمين.

¹ - المرجع نفسه ، ص 187 .

² - النحو الوافي:عباس حسن، دار المعارف، ط3، 1974م، ج1،ص303 وما بعدها.

³ - التحرير والتنوير، ص24.

- قال تعالى: "قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ" (الأحقاف - آية 23)

فالتعريف في (الْعِلْمُ) للاستعراق العرفي، أي علم المغيبيات، أو التعريف عوض عن المضاف إليه، أي وقت العذاب. وهذا الجواب يجري على جميع الاحتمالات في معنى قولهم (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) لَأَنَّ جميعها يقتضي أنه عالم بوقته¹.

- قال تعالى: " فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ" (الأحقاف - آية 35)

"وتعريف (الْقَوْمُ) تعريف الجنس، وهو مفيد العموم، أي كلّ القوم الفاسقين فيهم مشركي مكة الذين عناهم القرآن فكان لهذا التفرع معنى التذييل. وذلك أن يجعل تعريف العهد، أي القوم المتحدث عنهم في قوله (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ) الآية، فيكون إظهار في مقام الإضمار للإيماء إلى سبب إهلاكهم أنه الإشراك².

- قال تعالى: " أَفَعَبِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" (ق - آية 15)

تعرض الرازي³ لتعريف (الخلق الأول) وتتكير الخلق الثاني، وذكر أن ذلك يحمل دالتين:

- أ. عَرَفَ الاول لأنه خلق عرفه كلّ إنسان وعلمه لنفسه، ونكّر الثاني لأنه خلق لم يعرف كلّ أحد ولم يعلم لنفسه، وهم لم يكونوا يعلمونه بل كانوا منكرين له.
- ب- نكّر الثاني لبيان إنكارهم للخلق الثاني من كلّ وجه، وكأنّهم قالوا: أياكون لنا خلق؟ على وجه الإنكار بالكلية.

¹ - المرجع نفسه، ص 47.

² - المرجع نفسه ، ص 69.

³ - ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، دار الفكر، بيروت، (دط)،

ج 28، ص 162.

وذكر ابن المنير¹ أنّ تعريف الأول للتعظيم ليجعله دليلاً على الخلق الجديد، وتتكير الثاني للتهوين، أو للتعظيم كأنه أمر أعظم من أن يرض الإنسان بكونه ملتبساً عليه.

- قال تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوْسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" (ق-آية 16)

يرى ان عاشور أن " (الإنسان) يعمّ جميع الناس ولكن المقصود منهم أولاً المشركون لأنهم المسوق لهم هذا الخبر، وهو تعريض بالإنداز².

- قال تعالى: " إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ " (ق-آية 17) "وتعريف (المتلقيان) تعريف العهد إذا كانت الآية نزلت بعد آيات ذكر فيها الحفظة، أو تعريف الجنس، والتثنية فيها للإشارة إلى أن هذا الجنس مقسم اثنين اثنين... والتعريف في (اليمين) و(الشمال) تعريف العهد أو اللام عوض عن المضاف إليه أي عن يمين الإنسان وعن شماله"³.

- قال تعالى: " وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ " (ق-آية 36)

تعريف (البلاد) للجنس، أي في الأرض.

- قال تعالى: " وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ " (ق-آية 41، 42)

" وتعريف (المنادي) تعريف الجنس... والتعريف في (المصير) إمّا تعريف الجنس، أي كل شيء صائر إلى ما قدرناه له وأكبر ذلك هو ناموس الفناء المكتوب على

¹ - ينظر: الانتصاف في ما تضمنته الكشاف من الاعتزال (ضمن حاشية الكشاف): ابن المنير

ناصر الدين بن محمد الاسكندري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص 386.

² - التحرير والتنوير، ص299.

³ - المرجع نفسه، ص301.

جميع الأحياء، وإمّا تعريف العهد، أي المصير المتحدّث عنه، وهو الموت لأنّ المصير بعد الموت إلى حكم الله¹.

- قوله تعالى: " فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخْنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۗ " (محمد - آية 4)
"وتعريف (الرِّقَابِ) و(الْوُثَاقِ) يجوز أن يكون للعهد الذهني، ويجوز أن يكون عوضاً عن المضاف إليه، أي فضرِب رِقَابَهُمْ وَشَدَّ وَثَاقَهُمْ"².

- قوله تعالى: " وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۗ " (محمد - آية 15)
"ومعنى (من كُلِّ الثَّمَرَاتِ) أصناف من جميع أجناس الثمرات، فالتعريف في (الثمرات) للجنس، و(كل) مستعملة في حقيقتها وهو الإحاطة، أي جميع ما خلق الله من الثمرات مما علموه في الدنيا وما لم يعلموه مما خلقه الله في الجنة، و(من) تبعيضية"³.

- قوله تعالى: " فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ " (محمد - آية 21)
التعريف في (الأمر) تعريف العهد.

- قوله تعالى: " هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّن يَبْخُلُ ۗ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ " (محمد - آية 38)
"والتعريف باللام في (الغنيّ) وفي (الفقراء) تعريف الجنس، وهو فيهما مؤذن بكمال الجنس في المخبر عنه، ولما وقعا خبرين وهما معرفتان أفادا الحصر، أي قصر الصفة على الموصوف، أي قصر جنس الغنى على الله وقصر جنس الفقراء على المخاطبين ب(أنتم) وهو قصر ادّعائي فيهما مرتّب على دلالة (أل) على معنى كمال الجنس، فإنّ كمال الغنى لله لا محالة لعمومه ودوامه، وإن كان يثبت بعض

¹ - المرجع نفسه، ص31.

² - التحرير والتتوير ، ص80.

³ - المرجع نفسه ، ص97.

جنس الغنى لغيره. وأما كمال الفقر للناس فبالنسبة إلى غنى الله تعالى وإن كانوا قد يغبون في بعض الأحوال لكن ذلك قليل وغير دائم"¹.

- قوله تعالى: " سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونًا أَنَّبِعْكُمْ " (الفتح - آية 15)

تعريف (المخلفون) تعريف العهد، أي المخلفون المذكورون.

- قوله تعالى: " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا " (الفتح - آية 18)

والتعريف في (الشجرة) تعريف العهد وهي: "الشجرة التي عهدها أهل البيعة حين كان النبي ﷺ - جالسا في ظلها وهي شجرة من شجر السمُر (يفتح السين المهملة وضم الميم) وهو شجر الطلح..."².

- قوله تعالى: " وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يجدُونَ وِليًا وَلَا نصِيرًا " (الفتح - آية 22)

"و(ال) للعهد، أي أدبارهم، ولذلك يقول كثير من النحاة إن (ال) في مثله عوض عن المضاف إليه وهي تعويض معنوي"³.

- قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ الْحِجْرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " (الحجرات - آية 4)

التعريف في (الحجرات) تعريف العهد، وهي حجرات النبي ﷺ - فلذلك لم تعرف بالإضافة.

- قوله تعالى: " وَاعْلَمُوا أَنَّنِي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ " (الحجرات - آية 7)

¹ - المرجع نفسه ، ص 138.

² - المرجع السابق ، ص 174.

³ - التحرير والتوير ، ص 183.

"والتعريف في الأمر تعريف الجنس شامل لجميع الأمور ولذلك جيء معه بلفظ (كثير من) أي أحداث كثيرة مما لكم رغبة في تحصيل شيء منها فيه مخالفة لما شرعه"¹.

- قوله تعالى: " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۗ قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُوَلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ " (الحجرات - آية 14)

وتعريف (الأعراب) تعريف العهد؛ إذ هم أعراب معينون وهم بنو أسد كما يرى كثير من المفسرين.

1-6- المُعَرَّفُ بِالِإِضَافَةِ:

من أمثله نذكر:

- قوله تعالى: " وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ " (الأحقاف - آية 12)
 "عبر عن التوراة بـ (كِتَابُ مُوسَى) بطريق الإضافة دون الاسم العلم وهو التوراة لما تؤذن به الإضافة إلى اسم موسى من التذكير بأنه كتاب أنزل على بشر كما أنزل القرآن على محمد -ﷺ- تلميحاً إلى مثار نتيجة قياس القرآن على كتاب موسى بالمشابهة في جميع الأحوال"².

- قوله تعالى: " أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (الأحقاف- آية 14)

" أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) أدلّ على الاختصاص بالجنة من أن يقال: أولئك في الجنة وأولئك لهم الجنة لما في(أصحاب) من معنى الاختصاص وما في الإضافة أيضاً"³.

¹ - المرجع نفسه ، ص235.

² - المرجع نفسه ، ص24.

³ - المرجع السابق ، ص28.

- قوله تعالى: " وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَابِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (الأحقاف- آية 21)

أخو عاد هو هود "وعبر عنه هنا بوصفه دون اسم العلم لأن المراد بالذكر هنا ذكر التمثيل والموعظة لقريش بأنهم أمثال عاد في الإعراض عن دعوة رسول من أمتهم...."¹.

- قوله تعالى: " الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ" (محمد- آية 1)

أضيف السبيل إلى الله " لأته الدين الذي ارتضاه الله لعباده (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) واستعير اسم السبيل للدين لأن الدين يوصل إلى رضى الله كما يوصل السبيل السائر فيه إلى بغيته."².

- قوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (محمد - آية 24)

إضافة (أقفال) إلى ضمير (قلوب) نظم بديع- كما يرى ابن عاشور- أشير به إلى اختصاص الأفعال بتلك القلوب، أي ملازمتها لها فدل على أنها قاسية.³

- قوله تعالى: " إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " (الفتح- آية 26)

إضافة الحمية إلى الجاهلية " لقصد تحقيرها وتشنيعها فإنها من خلق أهل الجاهلية فإن ذلك انتساب ذم في اصطلاح القرآن كقوله (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) وقوله (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) ويعكس ذلك إضافة السكينة إلى

¹ - التحرير والتوير ،ص45.

² - المرجع نفسه ، ص73.

³ - ينظر: المرجع نفسه ، ص114.

ضمير الله تعالى إضافة تشريف لأنّ السكينة من الأخلاق الفاضلة فهي موهبة إلهية¹.

"وإضافة (كلمة) إلى (التقوى) على هذا التفسير إضافة حقيقية، ومعنى إضافتها: أنّ كلمة الشهادة أصل التقوى فإنّ أساس التقوى اجتناب عبادة الأصنام، ثم تتفرع على ذلك شعب التقوى كلها"².

الخاتمة:

مما تقدّم يمكن الوقوف على جملة النتائج التالية:

- شيوع التعبير بالذكورة في سور الجزء، وخاصّة في السور المكية وذلك لما حوته من مسائل عامة كذكر دلائل قدرة الله ونعمه على خلقه، ووصف يوم القيامة وما يصاحبه من أحداث جسام. وما يحدث فيه من ثواب وعقاب إلى غير ذلك من الأمور التي يناسبها التعميم أكثر ممّا يناسبها التخصيص.

- لم يقتصر معنى الذكرة في سور الجزء على إفادة الشيوع فحسب، وإنّما أفاد معانٍ أخرى اكتسبها من المقام أو السياق الوارد فيه، ومن هذه المعاني نذكر: التعظيم، التقليل، الاستغراق، التعميم، التبويض.

- ورود جميع أصناف المعارف في سور الجزء.

- من أكثر المعارف وروداً - في سور الجزء - الضمير، ومن أقلّها ورود العلم.

- لم تقتصر وظيفة الضمير على الربط بين أجزاء الجملة فحسب وإنّما أضيفت له خصائص أخرى منها: حذف المعاد لدلالة المقام عليه، والاتّفات تطريزاً للكلام وتفنّناً في الأسلوب وتطرية لنشاط السامع، إضافة إلى الإظهار في موضع الإضمار.

- اسم الإشارة في (الأحقاف - ق - الذاريات) استخدم للتنبيه وتعظيم شأن المشار إليه، والتهويل. وفي المقابل استخدم في (محمد - الفتح - الحجرات) للتنويه بالمشار إليه، والتشهير، إضافة إلى تقرير الحكم ورسوخه في النفس.

¹ - المرجع نفسه ، ص194.

² - المرجع نفسه ، ص196.

- الاسم الموصول في (الأحقاف- ق- الذاريات) يرد حين تكون صلته هي مناط الحكم وموضع الاهتمام، إضافة إلى التنبية، وأما في (محمد- الفتح- الحجرات) فيستخدم للتشويق، والتعميم وإرادة الجنس.

- (أل) التعريف في مواضع تأتي للعهد وفي مواضع أخرى للجنس.

- المَعْرِفَ بالإضافة في (الأحقاف- ق- الذاريات) استخدم للاختصاص، والتعميم، والتمثيل، والتهويل، والتعظيم. وفي المقابل استخدامه في (محمد- الفتح- الحجرات) كان للاختصاص، والتعميم، والتحقير والتشنيع، والتشريف.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- الانتصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال (ضمن حاشية الكشاف): ابن المنير ناصر الدين بن محمد الاسكندري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

2- التحرير والتوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (دط)، 1997.

3- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الرازي فخر الدين، دار الفكر، بيروت، (دط).

4- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمد شهاب الدين الألوسي، دار الفكر، بيروت.

5- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، اعتنى به: محمد بن عياد بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2003م.

6- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2006.

7- شرح الكافية في النحو: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، تحقيق: محمد نور الحق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1975م.

8- شرح المفصل: موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي يعيش ت، عالم الكتب، بيروت، ط1، (د ت).

9- الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1.

10- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل: محمود بن عمر الرّمخسريّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1987.

11- اللغة العربية الميسرة: محمود عكاشة، دار النشر للجامعات -القاهرة- ط1، 2007.

12- النحو الوافي:عباس حسن، دار المعارف، ط3، 1974م.
